

المرحلة : الاولى
المادة : الفكر الشرقي القديم
أستاذ المادة
دكتور . عمار عبدالكاظم رومي

- موضوع المحاضرة : الفكر الفارسي القديم .
- يمكن عرض هذا الفكر وفق الفقرات الآتية :
- الفقرة الاولى : الخصائص الأساسية للفكر الفارسي القديم .
- الفقرة الثانية : من هو زرادشت ؟
- الفقرة الثالثة : الفكر الفارسي قبل زرادشت .

شرح (الفقرة الاولى : الخصائص الأساسية للفكر الفارسي القديم)

يعتبر الفكر الفارسي القديم حلقة من حلقات الفكر الشرقي القديم ، فقد حاول هذا الفكر الاجابة على جملة من التحديات التي صادفت الفكر الشرقي القديم ، فقد تحرك الفكر الفارسي القديم ضمن معادلة سيطرة على المنظومة المعرفية للفكر الشرقي القديم وسيطرة بالنتيجة على المنظومة المعرفية للفكر الفارسي القديم أيضاً ، وهذه المنظومة المعرفية ذات محاور ثلاثة وهي :

- المحور الاول - المحور الميثولوجي أي المحور الاسطوري .
- المحور الثاني - المحور الثيولوجي أي المحور الديني .
- المحور الثالث - المحور الفلسفي أي المحور الانساني .

لم يستطع الفكر الفارسي القديم شأنه في ذلك شأن الفكر الشرقي القديم التحرر من منظومة المحاور الثلاثة (الميثولوجية و الثيولوجية والفلسفية) ولكنه تعاطا مع هذه المحاور بطريقته الخاصة ، ففي الوقت الذي تعاطت فيه الحضارة العراقية او الفكر العراقي القديم مع منظومة المحاور الثلاثة (الميثولوجية والثيولوجية والفلسفية) تعاطياً عمل فيه هذا الفكر أي الفكر العراقي القديم على ازاحة المحور الفلسفي والمحور الثيولوجي وإعطاء الاولوية في التفكير للمحور الميثولوجي ، بمعنى بناء الفرد والدولة وفقاً للرؤية الميثولوجية او الرؤية الاسطورية ، في حين تعاطا الفكر الفارسي القديم مع منظومة المحاور الثلاثة (الميثولوجية والثيولوجية والفلسفية) تعاطياً ازاحة الميثولوجية أي الاسطورة وازاح البعد الفلسفي ، وبنى فكره على المحور الثيولوجي أي المحور الديني ، وهو أي الفكر الفارسي القديم في طريقه لبناء هذا الفكر استخدم الرمزية للتعريف بهذا الفكر أي

الفكر الفارسي القديم ، فان باطن هذا الفكر هو البعد الميثولوجي أي البعد الاسطوري والبعد الفلسفي أي البعد الانساني ولكن ظاهره هو البعد الثيولوجي أي البعد الديني ، وبهذه الطريقة قد تمت صياغة الفلسفة الزرادشتية لذلك عملت الفلسفة الزرادشتية على التمييز بين نوعين من النصوص وهما :

- الاول - النص الزرادشتي على مستوى الخطاب الشعبي .
- الثاني - النص الزرادشتي على مستوى الخطاب الرسمي .

وكانت الفلسفة الزرادشتية توظف الخطابين معاً في طرح افكارها ، فمن خلال هذا التوظيف ادت الفلسفة الزرادشتية دوراً فاعلاً في الوسط الشعبي ، لقد كانت الشروحات المتنوعة اضافة الى تأكيد وجودها بفعل الدعم الرسمي عامل مهم في انتشار الفلسفة الزرادشتية ، فان الفلسفة الزرادشتية لاتنفصل في وجودها الاجتماعي عن واقع المجتمع الفارسي القديم ، فقد عانت الفلسفة الزرادشتية من صعوبة طرح افكارها بفعل العلاقة الوثيقة بين التصورات الفلسفية والدينية السابقة عن الزرادشتية والايان الشعبي والرسمي بها ، ولم تستطع الفلسفة الزرادشتية الوصول الى مرحلة تصبح بها الفلسفة الرسمية للدولة الا بمباركة السلطة لها ، ولم يكن ذلك بفعل قناعة السلطة بالفلسفة الزرادشتية ذاتها ، والذي ساعد ايضاً على انتشار الفلسفة الزرادشتية هو الدور الفاعل الذي مارسه شارحو الزرادشتية في نقد التصورات الدينية و الفلسفية السابقة على الزرادشتية من جهة والترويج للفلسفة الجديدة من جهة ثانية ، انه هولاء الشراح هم كهنة زرادشت ، وكانوا يمتازون بقداستهم نظراً لمراتبهم المعرفية وكانوا يمثلون مستشاري السلطة والملك ، واما على الصعيد الشخصي كانوا يمتازون بالزهد واحتقار الحياة الدنيا ، قد عملت كهنة زرادشت على تصنيف الفلسفة الزرادشتية بوصفها من التصورات القديمة حول الافكار الميثولوجية أي الافكار الاسطورية والافكار الثيولوجية أي الافكار الدينية والافكار الفلسفية أي الافكار الانسانية ، وانتقلت من مرحلة تعددية الالهة وبناء الفرد والسلطة او النظام الفكري بصورة عامة على الميثولوجية أي الطرح الاسطوري في مرحلة الفكر الفارسي قبل زرادشت الى بناء الفرد والسلطة او النظام الفكري بصورة عامة على الثيولوجية أي الطرح الديني في مرحلة الفكر الفارسي بعد زرادشت ، وصولاً الى فكرة الاله الواحد . ويمكن اجراء هذه المقارنة بين الفكر الفارسي القديم قبل زرادشت والفكر الفارسي القديم بعد زرادشت بالطريقة الاتية .

| | |
|---|--|
| الفكر الفارسي القديم بعد زرادشت | الفكر الفارسي القديم قبل زرادشت |
| منظومة معرفية دينية | منظومة معرفية اسطورية |
| الاعتقاد بفكرة الاله الواحد | الاعتقاد بفكرة تعدد الالهة |
| شيوخ النزعة الروحانية في التعاطي النظري والعملي | شيوخ النزعة المادية في التعاطي النظري والعملي |
| التأكيد على إعطاء هذا الموروث طابع غير تقليدي ، بمعنى صياغة الفكر الشرقي صياغة زرادشتية | التأكيد على أسلوب محاكاة الموروث الشرقي القديم |

شرح (الفقرة الثانية : من هو زرادشت ؟)

في مراحل تاريخية محددة ساهمت المصادر المعرفية في رسم الابعاد الثقافية والاجتماعية ، لمختلف الشخصيات سواء على مستوى الطرح الاسطوري او الطرح الديني او الطرح الفلسفي ، وفي حياة زرادشت الكثير من المصادر التاريخية التي تداخل فيها البعد الاسطوري والبعد الديني والتي أعطت لهذه الشخصية الكثير من الغموض ، وقد رافق هذا الغموض حياة زرادشت وأعمال زرادشت ، فالبعض يرى في شخصية زرادشت شخصية حقيقية وهذه الشخصية الحقيقية لها وجودها الفعلي ، وتمتلك تاريخياً يمكن أثباته من الاثار المادية والنصوص المكتوبة ، والبعض الاخر يرى في شخصية زرادشت مجرد شخصية أسطورية ، اخترعها العقل الاسطوري والخيال الاجتماعي ، مضيف اليها الديانة الزرادشتية ، ان كلمة زرادشت تعني باللغة الفارسية الغني بالابل ، وتشير الدراسات التاريخية الى ان زرادشت قد عاش في القرن السابع قبل الميلاد وقبل ولادة زرادشت تبدأ الدعوة له بالنبوة ، و زرادشت من جوهر روح الله فقد تقمصت روح الله في جسد زرادشت ، بعد ان انتقل جوهر روح الله من الكائنات والاجرام العلوية ، اما روح زرادشت فقد نزلت مع المطر وقد جرت عدة محاولات للشياطين للقضاء عليه الا انها فشلت بفعل القدرة الربانية ، بعد ولادته عهد والده بتربية الى العالم برزين الذي اشتهر في عصره بعلومه ومعارفه وقام بتلقينه علوم عصره وتكفلت الكائنات الالهية بتعليمه العلوم الربانية ، تزوج زرادشت ثلاثة نساء انجب منهن ثلاثة ابناء وثلاثة بنات ، وفي العشرين من عمره هجر وطنه وتنقل في اماكن كثيرة، وفي الثلاثين تخرى عن كل شئ ليعلن زهده في الدنيا ، ويعلن خلوته ووحدته في جبل (أوشيدونه) كما اوحى اليه (أهورا مزدا)

دامت عزلة زرادشت في جبل (أوشيدونه) يتلقى فيها الوحي من (أهورا مزدا) عشر سنوات ، ثم هبط زرادشت من الجبل وتلقى الهالة النورانية وتجلت له الملائكة ، ثم بعد ذلك كان باستطاعة زرادشت ان يقابل الاله الاعلى بصفته روحاً وأثناء مروره نحو السماء يمر بالافلاك السماوية الاثني عشر حسب معتقدات الزرادشتيين ، ويعود محملاً بالرسالة الزرادشتية والنشيد الزرادشتي ، كان زرادشت في الاربعين من عمره عندما أوحيت له ديانته ، وكلف بتبليغ الدين الجديد من قبل (أهورا مزدا) وتبين النصوص الزرادشتية ان زرادشت قد بدأ بنشر دعوته في مسقط رأسه ، وقد توجه في بدايه دعوته الى الرعاة المستقرين ، وقد لاقى زرادشت في بدء الدعوه الكثير من المتاعب والصعاب ، كان لزرادشت مجموعة من الاتباع والمبشرين لدعوته في جميع انحاء ايران ، وبعد رحلة طويلة قضاها زرادشت في سبيل الدعوة ، عجز زرادشت وفشل في نشر الدعوة بين ابناء قومه ، وحارب وتعرض للاهانات كثيراً مما اجبره على الرحيل ، مات زرادشت عن عمر ناهز ٧٧ سنة .

شرح (الفقرة الثالثة : الفكر الفارسي قبل زرادشت)

من الصعوبة بمكان البحث عن المكونات الاولية للفكر الفارسي ، بفعل التحديات المعرفية التي يضعها هذا البحث عن بدايات التفكير الفلسفي ، فان هذه البدايات تصدم مع الرأي الشائع والذي ينطلق من مقولة المركزية الغربية والتي ترفض فكرة اطلاق صفة التفكير الفلسفي على النتاج الفكري الشرقي واختصار ذلك على النتاج الفكري الغربي ، ولكن بخلاف هذا التصور ان الفكر الفلسفي في نشأته يمتد الى اعرق من الفكر اليوناني ، بل يتجاوز الفكر اليوناني الى الفكر الشرقي القديم ، ففي الوقت الذي تجاوز فيه الفكر اليوناني النسق الاسطوري والنسق الديني وإعطاء الاولية للنسق الانساني ، فاقام هذا الفكر ، فلسفته على تصورات عقلية مجردة ، يمكن اعتبار الفكر اليوناني على ضوءها ، ليس الا حلقة من حلقات التطور الفكري ، فعدم وجود تعريف مانع جامع للفلسفة ، لا يعطي للفكر الغربي الحق في رفض فكره نشأة الفلسفة في الشرق ، اما في الفكر الشرقي فان الفلسفة كانت تمثل تلك الرؤية الكونية المحملة بتصورات اسطورية ، اساسها الفلسفي هو الاعتقاد الديني ، ففي الفكر الشرقي قد تماهت المنظومة المعرفية الثلاثية (الاسطورية والدينية و الفلسفية) منتجة تصورات تميل الى الطرح الاسطوري او الطرح الديني ، اما في العقل اليوناني فان تماهي المنظومة المعرفية الثلاثية (الاسطورية والدينية والفلسفية) قد أنتج تصورات عقلية ، ان

الرأي الشائع في تحديد مفهوم الفلسفة في الفكر الشرقي يرتكز على ان الفلسفة في تاريخنا المعرفي ، تقوم على مفهوم البحث المعرفي وفق المنظومة المعرفية الثلاثية (الاسطورية والدينية و الفلسفية) وبالتالي فان النتاج المعرفي وان اختلفت حوامله يقع ضمن دائرة هذا التصور ، فهو تصور شمولي يتحرك على وفق مستويين : وهما الاول - مستوى معرفي ميتافيزيقي والثاني - مستوى معرفي انساني . في الفلسفة الزرادشتية يحدث تماهي بين الميتافيزيقي والفيزيقا أي بين الاسطوري والديني ، فالعقل يتحرك بالمفاهيم مجردة بين الطرفين ، وفي الفكر الفارسي القديم يحدث استيعاب للفكر الشرقي القديم ، فهو أي الفكر الفارسي القديم يؤثر ويتأثر ، وايضاً ينفعل ويتفاعل ، لذلك لانعدم وجود تصورات هندية وصينية وعراقية في الفكر الفارسي القديم ، مع العمل على طبع تلك التصورات الفكرية بصبغة فارسية ، فقد كان الايرانيون القدماء ينطلقون من مقولة الحراك الاسطوري للالهة ، فان الالهة في الفكر الفارسي القديم لا تقبع في مكان عالي ، بمعنى انه يحدث نوع من المشاركة بين الاسطوري والديني ، فالعالم هو نتاج التفاعلات القائمة بين كائنات جبارة شبيهة بالبشر ، وعلى الرغم من ان البنية المعرفية للفكر الفارسي القديم كانت بنية دينية ، الا انها لم تخلو من عناصر اسطورية ، وان الاسطورة أي اسطورة ترتكز على فكرة المركز و فكرة الاطراف وفكرة الصراع بين المركز والاطراف ، ومن الامثلة على ذلك ان ما يحدث في الارض يحدث في السماء ، فالظواهر السماوية من الزلازل والبراكين والمجاعات والحروب ، القائمة على الارض ، هي في مجموعها ظواهر لاشياء مماثلة قائمة في السماء ، وقد كان الفكر الفارسي القديم يدعو الى عبادة مظاهر الطبيعة ، والتأكيد على الجانب المادي للتصورات ،ومن هنا ندرك العلاقة بين الاسطوري والديني .

(انتهى القسم الاول من محاضرات الفكر الفارسي القديم)